

كراهية الإسلام وتحديات ومواجهات

د / محمد بشاري(*)

بين تأمل الآية الكريمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، والحديث عن كراهية الإسلام في العصر الراهن، يتبين لنا بأن هناك أمور غير طبيعية في هذا العالم؛ لأنه من ناحية منطقية بالدرجة الأولى، وليست فقهية أو شرعية، لا يعقل أن يكون دين أرسل نبيه الكريم ﷺ رحمة للعالمين، وبين تصاعد أصوات غريبة تدعو للكراهية أو تحض على قمع المسلمين والتضييق عليهم.

وبصفتي مسلماً مقيماً في الغرب، وبصفتكم متبعون لأوضاع المسلمين في الدول الغربية عبر القنوات الإعلامية، فلا شك أنكم تطلعون بين الفينة والأخرى على أخبار تعكس المشاكل والتحديات التي تعيشها الأقليات الإسلامية في الدول الغربية، وأن العديد من من هذه المشاكل ترتبط بعنوان هذه المداخلة، أي: كراهية الإسلام والمسلمين.

نماذج من الكراهية:

لا شك كذلك أنكم تتبعتم أصداء الرسوم الكاريكاتورية السيئة التي صدرت عن صحيفة دانماركية، وحتى تظهر بعض تجليات خطورة الموجة، فإننا نكتفي في هذه المداخلة بالاستشهاد ببيان صادر على هامش ردود المسلمين في العالم على الرسوم.

ونكمن أهمية البيان أنه يتجاوز السقف المعرفي لأيدولوجية الجريدة الدانماركية، بل يمتد إلى سقف أعلى، حيث أننا نجد مفكرين وباحثين ومسلمين وأجانب يجمع بينهم بنى خطاب الكراهية تجاه المسلمين بالنسبة للموقعين الغربيين، والتنكر للهوية الإسلامية بالنسبة للموقعين المسلمين.

جاء هذا البيان تحت عنوان "لتواجه معاً الشمولية الجديدة"، وقد تجرأ الموقعون عليه بأن تحدثوا عن ضرورة ما وصفوه بسقوط عالم اليوم، تحت تهديد نظام شمولى

(*) رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا، وأمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي.

جديد هو الإسلام، وذلك بعد التغلب على الفاشية والنازية والاستالينية، مطلبين بمقاومة الشمولية الدينية وترقية الحرية والمساواة في الحظوظ وكذا اللائكية لجميع الناس، على اعتبار أن الأحداث التي تلت نشر أوروبا للرسوم الكاريكاتورية أظهرت ضرورة المقاومة من أجل هذه القيم العالمية، وأن هذه المعركة لا يمكن الظفر بها عن طريق الأسلحة، ولكن علينا أن نسك طريق الأيديولوجيا.

ويضيف البيان الخطير أنه "مثل جميع الأنظمة الشمولية، يتغذى الإسلام بالخوف والغضب، ويرهن دعاة الكراهية على المواطنين من أجل إنشاء كائنات بغرض خلق عالم قائم على خنق الحريات وعدم المساواة، والإسلام يعتبر أيديولوجية رجعية أينما حلت، تقل المساواة والحرية واللائكية، ونحن نرفض التخلي عن روحنا النقدية؛ خوفاً من اتهامنا بـ "رهاب الإسلام/ إسلاموفوبيا"، وهو مفهوم مؤسف يخلط بين نقد الإسلام وبين التعيب على أتباعه".

وقد وقع على البيان الأسماء التالية: يعان حرزى على (من أصل صومالي)، عضو البرلمان الهولندي، وكاتبة فيلم "الخضوع" الذي أخرجه نيو فان غوخ، وشهلة شفيق (كاتبة إيرانية مقيمة بفرنسا)، من مؤلفاتها كتاب "الرجل الإسلامى الجديد"، وكارولين فوريس (قاصة ومثولة النشر لمجلة بروشوا المتهمة بالدفاع عن الحريات وضد الحركات الإسلامية، وبرنارد هنرى ليفى (مفكر فرنسى)، وإرشاد مانجى (كاتبة إيرانية صاحبة كتاب "مسلمة ولكن حرة"، ومهدى مظفرى (أستاذ إيراني مغترب بالداغمارك، ومريم نمازى (كاتبة ومنتجة فى التلفزة البريطانية الدولية ومديرة العلاقات الدولية بحزب العمال الاشتراكي فى إيران)، وتسليمة نسرین (كاتبة من البنغلاديش)، وسلمان رشدى (صاحب آيات شيطانية)، وأنطوان سفير (كاتب لبناني ذو جنسية فرنسية)، وفيليب فال (مدير نشر أسبوعية "شارلى إيبندو" التي أعادت نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي ﷺ، وبين وراق (كاتب وباحث بالمعهد الأمريكى، له مؤلفات منها: "أصول القرآن"، و"لماذا لست مسلماً").

إن اعتبار الموقعين على البيان فهوم "إسلاموفوبيا"، وهى كلمة يقصد بها "الرهاب الإسلامى" كمصطلح لمعنى الخوف من الإسلام، بأنه يخلط بين نقد الإسلام

وبين نقد أتباعه، يبرز أيضاً ذهنية الفكر المحرض على الكراهية والعنف والقمع، ومن المؤكد أن الفعل أو الممارسة التي تتأسس على العنف والقمع تؤسس في المقابل لعنف مضاد وعنف مضاد، لأن هذه هي سنة الحياة.

ونتوقف عند مثال ثانى، ويتعلق بمؤشر الإسلاموفوبيا فى القارة الأوروبية، وقبل أن نتوقف عند تأكيدات آخر تقرير أوروبى يرصد الظاهرة، والذى أصدره المركز الأوروبى لمراقبة التمييز ومعاداة الأجانب، لابد لنا من دحض تحقير الموقعين على البيان من وزن مفردة الإسلاموفوبيا، وذلك بناء على اعترافات أوروبية، وليست إسلامية أو عربية؛ اعتماداً على ما أكدنا عليه فى كتاب لنا صدر منذ سنوات وهو كتاب "صورة الإسلام فى الإعلام الغربى"^(١)، حيث أكدنا على أن المفردة دخلت قاموس السياسة الأوروبية مباشرة بعد صدور بحث هام عبارة عن دراسة استطلاعية قامت بها مؤسسة "رنيميد ترست"^(٢)، وقد اعتبرت الدراسة أول عمل استطلاعى ميدانى تقوم به مؤسسة مستقلة تبحث أوضاع المسلمين فى بريطانيا، واستعرضت الدراسة وجهات نظر مختلفة وتضعها فى سياق النقاش الحاصل بين المسلمين وغيرهم، وتستنتج فى النهاية مجموع وخلاصات اجتماعية وقانونية تساعد فى بناء جسور التفاهم بين المجموعات الدينية فى بريطانيا، وتضمنت لجنة التحقيق فى كلا من مطران لندن ريتشارد تشارتز والحاخام جوليا نوبيرغر والبروفيسور أكبر أحمد أستاذ علم الإنسان فى جامعة كامبريدج، والفكر الإسلامى المرحوم زكى بدوى، وهو العميد السابق للجامعة الإسلامية بلندن، الدكتور ريتشارد ستون رئيس المجلس اليهودى للمساواة العرقية، وإيان هارغريفيس رئيس تحرير صحيفة نيو ستيمان.

وقد أكدت الدراسة^(٣) على أنه فى العشرين سنة الماضية، صارت الإسلاموفوبيا أكثر وضوحاً وتطرفاً وخطورة فى بريطانيا، وأن إثارة الدخول من الإسلام أحياناً

(١) صورة الإسلام فى الإعلام الغربى، محمد بشاري، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٤م.

(2) Islamophobia its features and dangers. Commission on British Muslims and Islamophobia. The Runnymede trust. february 1997.

(٢) نشرت جريدة الإندبندنت البريطانية ملخصاً لتائجها فى عددها الصادر يوم ٢١ فبراير ١٩٩٧م.

تكون صارخة، وكثيراً ما تكون مبطنة وخبيثة، وهي جزء من الحياة اليومية لبريطانيا الحديثة، مشبهة إياها بحالة العداء للسامية التي كانت سائدة في بداية القرن الحالى، وأضاف الدراسة أن انتشار مشاعر العداء للمسلمين من شأنه أن يسكت الأصوات المعتدلة فى أوساط الجاليات الإسلامية، ويعزز التطرف والعداء للثقافة الغربية بين أبنائها.

بعد مرور حوالى عشر سنوات على صدور تقرير مؤسسة رينميد ترست، جاء المركز الأوروبي لمراقبة التمييز ومعاداة الأجانب^(١)، ليؤكد ويزكى ما جاء فى التقرير الأول، حيث توصت نتائج دراسته الجيدة، وتأتى خمس نوات بعد تاريخ ١١ أيلول سبتمبر ٢٠٠١، أن مسلمى أوروبا يتعرضون لتمييز طائفى مستوطن، فى التعليم والإسكان والوظائف، بخلاف تعرضهم للاعتداءات، وهو ما يمكن أن يعزلهم عن التيار الأساسى للبلاد، وإن يكن المسلمون أقرؤ أيضاً بأن عليهم بذل مزيد من الجهد للتواصل مع المجتمع. وجاء التقرير تحت عنوان "المسلمون فى الاتحاد الأوروبي" فى ١١٥ صفحة، ويتضمن لقاءات مع شبان مسلمين يصفون تجربتهم فى التهميش داخل مجتمعاتهم حتى لو كانوا ولدوا فى أوطانهم.

وقالت هولندية مسلمة: إن السؤال الذى سألته كثيراً هو: متى ستعودين، وأقول: ولدت فى روتردام فألى أين أذهب؟ إنه حقاً سؤال مؤلم ويجعلك تشعر بأنك أجنبى، عليك أن تقبل بأنك أجنبى عند نقطة ما.^(٢)

جاء التقرير فى ثلاثة أقسام هى: "البيئة الاجتماعية، وتحليلات الخوف من

(١) جاء التقرير تحت العنوان التالى:

Muslims in the European Union. Discrimination and Islamophobia. EUMC2006.

المسلمون فى الاتحاد الأوروبي: التمييز والخوف من الإسلام "تقرير عن وضع المسلمين فى الاتحاد الأوروبي" أصدره المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية وكرهية الأجانب، الذى تأسس فى عام ١٩٩٨م بقرار من مجلس الاتحاد الأوروبي الوزاري، وستوسع صلاحياته فى ٢٠٠٧ ليصبح "وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية".
(٢) يعيش فى الاتحاد الأوروبي ١٥ مليون مسلم، أى ما نسبته ٥,٣٪ من سكان الدول الأعضاء فى الاتحاد ويشكلون المرتبة الثانية بين الطوائف الدينية، ومن بينهم ستة ملايين فى فرنسا، وثلاثة ملايين فى ألمانيا، و٦,١ مليون فى بريطانيا، ومليون فى إسبانيا، ومليون فى هولندا.

الإسلام، وتشجيع الدمج، مقاومة الخوف من الإسلام"، ويتتبع باستنتاجات وآراء بخصوص إطار عام لخطوات ضد العنصرية والخوف من الأجانب ومعاداة السامية، والخوف من الإسلام وغيرها من أنواع التعصب، وبالإضافة إلى ذلك يوجد ملحق عن "الشبكة الأوروبية للعنصرية والخوف من الأجانب" المشكلة ٢٥ بؤرة وطنية منوط بها مهمة تزويد المركز بالمعلومات ذات العلاقة، وقد توصل المركز في تقصيه إلى مجموعة من الحقائق بخصوص وضع المسلمين في الاتحاد الأوروبي، تؤثر سلباً في وضعهم، أهمها:

✽ المسلمون عادة ما يكونون ضحايا النمطية السلبية التي يقوّيها اختيار الإعلام نشر أخبار سيئة عنهم، وهم أيضاً عرضة لأشكال الأحكام المسبقة والكرهية المختلفة، بدءاً من التهديدات اللفظية، وانتهاء بالاعتداءات الجسدية.

✽ المسلمون -والشبيبة منهم على نحو خاص- يلقون فرصاً جد محدودة للتطور الاجتماعي، مما يؤدي إلى الإقصاء والتمييز وفقدان الأمل والانسلاخ.

✽ وضحت الإحصاءات أن المسلمين ممثلون على نحو سلبي في مناطق السكن الفقيرة، بينما يقع تحصيلهم المدرسي دون المعدل، ومقدار البطالة بينهم أعلى من المعدل، والمسلمون عادة ما يستخدمون في الوظائف التي تتطلب قدرات دنيا، وهم مجموعة ممثلون على نحو سلبي في القطاعات ذات الدخل المتدني، ولاحظ التقرير غياب أية أبحاث وطنية عن الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا" والتمييز، مما دفعه إلى إجراء تقصّ خاص به، فتبين أن المسلمين أكثر عرضة للتمييز بسبب دينهم في دول محددة، مثل إسبانيا وإيطاليا وهولندا والبرتغال، كما رآهم يعانون في دول أخرى مثل النمسا وبلجيكا وألمانيا واليونان وفرنسا وأيرلندا الأمر ذاته، ولكن ليس بسبب الدين وحده.^(١)

بالنسبة لتجليات الخوف من الإسلام، فقد لاحظ التقرير غياب تعريف جامع

(١) نشرت قراءات في التقرير المهم، ومنها قراءة أنجزتها زياد مني علي موقع إسلام أون لاين بتاريخ ٢٠٠٧/١/٣٠ م.

للخوف من الإسلام، ما يعنى غياب تشريعات قانونية لمحاربته، كما سجل أنه منذ تاريخ ١١/٩/٢٠٠١ أضحت مجموعات محددة من البشر -ومنهم العرب والمسلمون- أكثر عرضة للعنصرية والتمييز فى مجالات حياتية كثيرة، بما فى ذلك التعليم والتوظيف والإسكان والحصول على الخدمات، والتمتع بالمواد الاستهلاكية والأمنكة العامة وحرية التحرك^(١)، وشدد التقرير على ضرورة تمييز مواقف ضد المسلمين نابعة من تصورات غمطية، والنقد الذى يرى أن مسلمة إسلامية تهدد حقوقاً مدنية رئيسية قد تصطدم بيع التصورات عن الواجبات الدينية للأفراد أو الجماعات، وعن تجليات ظاهرة الإسلاموفوبيا، فقد تم التوقف عند الخلاصات التالية:

* تبقى وحدة الإسلام متراسة جامدة وغير قابلة للتغيير.

* يبقى الإسلام منفصل ولا يشارك فى قيم حضارات أخرى، ولا يتأثر بها ولا يؤثر فيها.

* يبقى الإسلام أدنى من الغرب، بربرى وغير منطقى وبدائى وقائم على التمييز على أساس الجنس.

* الإسلام عنيف وعدوانى وتهديدى وداعم للإرهاب ومتورط فى صراع الحضارات.

* الإسلام فكر سياسى يستخدم لتحصيل ميزات سياسية أو عسكرية.

* العداوة للإسلام تسوغ الممارسات العنصرية تجاه المسلمين واستثناءً من المجتمع العام.

أسباب الكراهية:

لتحديد أهم أسباب الكراهية، علينا الاعتراف أولاً بأنها متداخلة ما بين عوامل خارجية، وسوف نتوقف عند اعترافات منها كما جاءت فى التقرير الأول الخاص بظاهرة الإسلاموفوبيا، وبين عوامل داخلية خاصة بالمسلمين.

(١) تفاقمت المشاعر المعادية للعرب والمسلمين فى الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية فى أعقاب الهجمات على مبنى وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" فى واشنطن، ومركز التجارة العالمى فى نيويورك فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث تعرضت مساجد ومراكز إسلامية إلى اعتداءات وإطلاق نار، وهوجم المسلمون وتمرضوا لتهديدات بالقتل. وقد أسهم عدد من وسائل الإعلام الأمريكية والغربية فى توليد مشاعر الكراهية هذه بسبب إصرارها على اتهام العرب والمسلمين بتنفيذ هذه الهجمات.

إنه لا بد لنا من التنبيه إلى مسئولية المسلمين فى الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين فى الذهنية الغربية، وهناك مجموعة من الأمثلة المعاصرة التى نتحمل فيها هذه المسئولية، ومنها: التفجيرات الإرهابية التى تورطت فيها عناصر من المسلمين، كالتفجيرات التى ضربت بعض الدول الغربية، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وإسبانيا، وإذا كانت بعض الأصوات الإسلامية قد تنتقد الرواية الرسمية للتفجيرات التى ضربت الولايات المتحدة الأمريكية، فإن هذه القراءات لا يجب أن تحجب عنها تفجيرات أخرى تؤكد فيها أن المتسببين فيها هم مسلمون، وإن مثل هذه التفجيرات وغيرها من الأحداث التى تسهم بشكل مباشر فى تشويه صورة المسلمين من جهة، وتساهم من جهة ثانية فى تغذية ذهنية الكراهية تجاه الإسلام والمسلمين.

إن توقفنا عند هذه العوامل يحتم علينا ممارسة نقداً ذاتياً، قبل أن نفتح الحوار مع الآخر، وإن محاوره الغرب فى ندوات الحوار، انطلاقاً من اتفاق مبدئى بيننا وبينهم على ممارسة النقد الذاتى تعتبر أهم أسباب نجاح مؤتمرات الحوار.

بعد أن توقفنا عند العوامل الذاتية الخاصة بالمسلمين، نأتى إلى العوامل الخارجية، ويمكن أن نذكر منها نتائج الحروب الصليبية على سبيل المثال، ومنها أيضاً تأثير بعض وسائل الإعلام، وخاصة الإعلام الموالى لأيديولوجيات عنصرية.

يتحدث باحث غربى عن ثلاثة أسباب تقف وراء الصور السلبية للإسلام فى وسائل الإعلام الغربية: التجربة فى ظل الاستعمار، حين أبدت الشعوب لمسلمة مقاومة أشد فى مواجهة الاستعمار الغربى بالمقارنة مع الكثير من الشعوب الأخرى التى استعمرت، والنزاع بين الفلسطينيين وإسرائيل، وذلك بسبب تعبیر العالم الإسلامى عن تضامنه مع الفلسطينيين، ولديه مخاوف فى شأن مصير القدس، وأضاف الباحث أن الانطباع ترسيخ فى أذهان كثيرة فى الغرب بأن هناك شيئاً ما فى الإسلام مناهضاً لليهود أو مناهضاً للسامية على نحو مرضى.^(١)

أما الباحثة الفرنسية جوسلين سيزارى، فقد أشارت على الخصوص فى كتابها "من يخاف الإسلام (FAUT IL AVIOR PEUR DO L'ISLAM?) إلى التنافر

(١) جريدة الحياة اللندنية ١٤/١١/١٩٩٩.

والتنافس التاريخيان بين الإسلام والمسيحية، فإذا كانت القيم التي جاء به الإسلام تماثل القيم التي جاءت بها الأديان التوحيدية الأخرى، حسب سيزارى، فملا بالرغم من ذلك يبدو الإسلام وكأنه فى صورة الدين المتعارض تعارضاً جذرياً مع القيم اليهودية المسيحية والمحارب لها.

هذا يدعونا إذن إلى البحث عن أسباب هذه الرؤية فى تاريخ المواجهات التى قامت بين أوروبا والعالم الإسلامى، والتى كان الفضاء المتوسطى منذ العصور الأولى هو إطارها الرئيسى، إن ما نعتقد أننا نعرفه عن الإسلام، تضيف سيزارى، هو فى قسم عظيم منه، نتاج رؤية أوروبية مركزية، جادت نتيجة قرون من التعارض السياسى والدينى، ولذلك صار واقع المسلمين المتحول والمفارق، سواء ما تعلق بواقع سلوكهم الأكثر خصوصية، أو الجوانب الأكثر جماعية من سلوكياتهم، وقد اختفت تحت ثقل التمثيلات المفككة على مر القرون، وترى سيزارى أن البعد الدينى سوف يبرز فى أسبانيا المسلمة، وهناك نشأت رؤية الإسلام تجعله نقيضاً للمسيحية، وبذلك حطم ذلك الأساس الذى تشترك فيه الأديان الثلاثة تحطيماً متعمداً، لتحل محله رؤية تزج بالآخر فى غيرية، لا فكك له منها، وتلقى به إلى هوامش الحضارة، أيأن هم المسلمون لا يمكن أن يكونوا أبناء لإبراهيم، كما هم المسيحيون، بالرغم من أن التباين مع دين الإسلام قد شيد قياساً على صورة المسيح.

وهناك طرح آخر يرى بأن تنامى ذهنية الإسلاموفوبيا فى البلاد الغربية وزرع هذا الخوف فى نفوس الغربيين هو هدف بحد ذاته، حيث استخدمت لتحقيقه وسائل كثيرة ومتنوعة، إعلامية وثقافية واقتصادية وسياسية... إلخ، بل إن إقناع العرب والمسلمين بوجود هذه الظاهرة وانتشارها هو وجه آخر للهدف الأساس، أى: تصوير الإسلام على أنه العدو الذى تجب محاربته والخوف منه، فصناعة العدو حاجة أساسية وأسلوب مهم من الأساليب التى تستخدمها الدول القوية للسيطرة على الشعوب والبلاد، إنها صناعة بكل معانى الكلمة، لها مواردها الخام وآلاتها وزسواقتها وصناعتها ومروجوها والمتاجرون بها، وهى صناعة أثبتت أنها رابحة وفق مقاييس المصالح الأنانية لمجموعة من الناس، استطاعوا السيطرة على الدول القوية وشعوبها

بطرق عديدة، وهم لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة، حتى لو أدى تحقيقها إلى إشعال حروب وفتن وقلقل قد تؤدي إلى فناء البشرية برمتها.^(١)

وهناك مفكرون غربيون يؤكدون هذا الطرح في مقالات كتبوها، يحذرون فيها من خطورة هذا الذي يحدث في العالم، فهذا بول آر دون يعلق على استخدام الرئيس الأمريكي لوصف "الفاشية الإسلامية"، قائلاً: "إنها الكلمة السحرية الحالية للمحافظين الجدد الذين حرصوا لحرب العراق، مروّجوها يريدون تأسيس تكافؤ أخلاقي بين ديمقراطيات الحرب العالمية الثانية من ناحية والشر الفاشستي من الناحية الأخرى، إنهم يريدون أن يُنظر إلى الموقف الأمريكي في العراق كمعارض للشر المعاصر للفاشية الإسلامية. استعمال العبارة يدعى رهاب الإسلام "إسلاموفوبيا"، صممت لتشويه سمعة معظم العالم الإسلامي، ولعل المتابع لما يجري اليوم في العالم، يشعر بأن ما يسمونه بالإسلاموفوبيا ليست نتيجة لعلاقات وتفاعلات بين الغرب والإسلام وحسب، وليست نتيجة لسياسات مخططة حديثاً بهدف تحقيق المصالح الأتانية، بل هي نتاج أفكار سيطرت ومازالت تسيطر على العالم الغربي اعتمدت على نظريات ترسخت في عمق اللاوعي الغربي، برر من خلالها الساسة أفعالهم، وبرر من خلالها المستعمرون استغلالهم واستعمارهم، وسيطروا بها على شعوبهم وعلى الشعوب المستغلة، التي استلبت وأقرت هي الأخرى بالتفوق الغربي، حتى كأنه حقيقة واقعة لا مجال لنقضها، لأنها مؤكدة علمياً وتاريخياً وعقلياً.

ونتوقف عند ما جاء في تقرير مؤسسة رنيميد ترست، والذي تحدث عما وصفه بالموبقات السبع التي تساهم في تكريس مفهوم الإسلاموفوبيا، ولو أن التقرير يتحدث عن الحالة البريطانية، إلا أنها تصلح كذلك لأن تنطبق عن الحالات الغربية بشكل عام.^(٢)

(١) صناعة العدو، رغداء محمد أديب زيدان، مقال منشور علي الموقع:

<http://www.odabasham.net/show.php?sidd=9464>

(٢) بالنسبة للحالة الفرنسية، يمكن مراجعة كتاب مهم للباحث الجزائري الصادق رابحن، وقد اعتمدنا عليه في دراسة أهم معالم صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية، في كتاب "صورة الإسلام في الإعلام الغربي"، وهو كتاب الصادق هو "الإسلام في الخطاب الإعلامي".

وعموماً نورد أهم أسباب التخويف من الإسلام كما صورتها وسائل الإعلام الأوروبي، ونختصر مجمل هذه العوامل في النقاط التالية:

١- الخطر الذي يمكن أن يجسده العالم الإسلامي في حالة تملك أسلحة نووية، ويبرز هذا مع باكستان، أو إيران، أو العراق.

٢- انهيار الأيديولوجية الشيوعية وتحول الصراع إلى صراع حضارات.

٣- المواجهة التاريخية بين العالم الإسلامي والدول الأوروبية لفترات طويلة، والتي يصطلح عليها بالحروب الصليبية، إضافة إلى أنها تصاعدت في العشرين عاماً الأخيرة، خاصة بعد أزمة البترول في السبعينات لتساهم في استفحال أحكام سيئة مسبقة عن الإعلام.

٤- ظهور تيارات في أوروبا تدعو لتخصيص فرص العمل لأبناء الوطن وحدهم، والخوف من مزاحمة المهاجرين المسلمين بهدف البحث عن فرصة العمل كما يدعى جان ماري لويين نيس حزب الجبهة الوطنية في فرنسا.

٥- انتشار الثقافة الإسلامية إلى حد أنها أصبحت ظاهرة مميزة لأفقر أحياء المدن الغربية، وخاصة في الضواحي حيث تقطن الأقليات المسلمة، ويتم وصف هذه الظاهرة في وسائل الإعلام الأوروبية، بتسلل العدو القديم من الباب الخلفي.

٦- تأييد وسائل الإعلام الغربية لإسرائيل، مما أدى إلى التعامل مع النظام الذي يمس القضايا العربية والإسلامية، مثل: الكفاح الفلسطيني على أنه نضال ذو طابع إرهابي، ولا تخرج وسائل الإعلام الغربية عن الأحكام المشوشة للعديد من الأكاديميين الغربيين، تلصق صفة الإرهاب على الإسلام، ويوجد على رأس هؤلاء المستشرق الأمريكي برنارد لويس.

٧- مخلفات عملية اختطاف عملية الرهائن في لبنان وإيران، والاعتقالات التي تعرض لها مواطنون غربيين في مصر والجزائر.

٨- وأخيراً، تجليات التفجيرات الإرهابية التي تورطت فيها عناصر إسلامية، وخاصة بعد تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

بدائل أهام الإسلام والغرب:

بعد استعراضنا لأهم معالم كراهية الإسلام والمسلمين في القضاء الغربي، ومن أجل استعراض بعض الاقتراحات، نرى أهم البدائل المقترحة والكفيلة بالحد من ظاهرة، لابد أن تكون مرتبطة بالأسباب التي تحدثنا عنها سابقاً، وأول هذه الأسباب: الكراهية، ولو أن الهدف الأسمى يبقى في التأسيس لنقد ذاتي من كلا الطرفين: الإسلام والغربي، نحن والآخر، أو ما يسمى بتعبير أهل الاستشراق الشرق والغرب.

وبناء على خلاصات رئيسية توصلنا إليها في دراسة لنا حول طبيعة صورة الإسلام في الذهنية الغربية، سوف نستشهد ببعض وأهم هذه الخلاصات، حيث أكدنا على أن مواجهة الكتابات والأفلام والبرامج وكافة الرسائل التي تسعى إلى الإسلام والمسلمين اليوم بحاجة إلى عمل مؤسسي منظم بدلاً من الجهود الفردية الراهنية، سواء في مجال رصد ما ينشر أو يذاع عن الإسلام والمسلمين، أم في مجال مواجهة ما ينشر في مختلف القنوات الإعلامية الغربية، على اعتبار أن الجهود الفردية تظل غير قادرة على تفعيل آليات المواجهة والرد والتصحيح، ومن بين أهم الخطوات في هذه الاستراتيجية ما يلي:

* دعم العلاقة بين المراسد الإسلامية وبين ممثلي الأقلية المسلمة في مختلف دول العالم، بما يتيح لأفراد هذه الأقليات الاتصال بالمراسد وإبلاغها بأية معلومات يمكن الحصول عليها بهذا الشأن.

* تكتيف الاتصال بوسائل الإعلام الغربية ومراكز البحوث والجامعات في الدول غير الإسلامية؛ لتصويب ما يصدر عنها بشأن الإسلام والمسلمين.

* فتح أبواب الحوار مع مراكز التأثير في صناعة القرار والرأي العام في الدول الغربية، وكذلك مراكز البحوث والدوائر الأكاديمية ووسائل الإعلام العالمية.

* التحرك السريع لمواجهة المواد الإعلامية المسيئة للإسلام بالتنسيق مع الهيئات والمنظمات المعنية.

❖ الاستعانة بخبراء العلاقات العامة والإعلان عن الأكاديميين في الجامعات والمعاهد ومن العاملين في المجال التطبيقي لعقد اجتماعات متخصصة لكيفية تفعيل الحملات الخاصة بالعلاقات العامة والإعلان.

❖ مخاطبة المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية في وضع برامج ضمن خريبتها لكيفية تفعيل تصحيح صورة الإسلام في الذهنية الغربية.

❖ تكثيف التواصل مع الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في الغرب التي لها تعاطف مع الإسلام والمسلمين.

كما تعمدنا التنبيه إلى أهم هذه التوصيات، وتعلو على جميع ما سبق، وهي الاجتهاد في ترجمة هذه التوصيات إلى الواقع، وذلك من خلال تبني رؤى منهجية وإجرائية تقوم على إعطاء الأولوية لتوصيات معينة على باقي التوصيات فيما يتعلق بالتطبيق، فلا يعقل أن تظل الفعاليات الإسلامية، ومعها تمثيلات الأقلية المسلمة في الدول الغربية تجتمع لدراسة أوضاع القضايا الإسلامية، ومنها قضية صور الإسلام والمسلمين ووسائل الإعلام الغربية، ثم تنتهي هذه الاجتماعات بإصدار التوصيات، والتي قد تتكرر في ملتقى آخر مع نفس المدعويين من أجل مناقشة نفس الموضوع، دون أن نكون قد حققنا أي تقدم في مجال تطبيق التوصيات السابقة.

إننا لا ننكر حسن نوايا المجتمعين والمسؤولين، خاصة وأن القضية لا تهم مجموعة معينة أو بلد منعزل، وإنما تتعلق بالإسلام كدين وتاريخ وحضارة، وترتبط كذلك بواقع المسلمين اليوم، وخاصة مع التحديات الحضارية التي نواجهها، ولكن أن نساهم في تحسين صورة الإسلام والمسلمين، وهذه خطوة تمتد لأجيال وتتطلب تفسير عقليات، ولن يتم من خلال التوفر على حسن النوايا.

نختم هذه المداخلة بشهادة من أهلها، وهي للدبلوماسي البريطاني كيم هويلز^(١)،

(١) مداخلة كيم هويلز، الوزير في وزارة الخارجية البريطانية، ألقاها في ويلتون بارك خلال مؤتمر تحدي القبولية في كل من أوروبا والعالم الإسلامي: العمل معاً لأجل سياسات وشرائط بناءة الذي عقد في ٢ أيار مايو ٢٠٠٦م.

وانطلق فيها من استطلاع أجرى في أسبانيا، وهي بلد تمتد فيه جذور الإسلام عميقاً، وأظهر بأن ٩٠ بالمائة ن الإسبان يؤمنون بأن الدول الإسلامية هي دول "سلطوية"، و٩٦ بالمائة وصفوا الدول الإسلامية بأنها "تفتخر وتتباهى بالذكورة"، و٧٩ بالمائة وصفوها بأنها "غير متسامحة"، و٦٨ بالمائة وصفوها بأنها دول "تعتنق العنف".

وقد استنتج المحاضر بأنه علينا العمل بشكل عاجل -إن كنا نريد أن نغد جسوراً عبر هذه الفروقات، وأن نمحو هذه الفجوة الواسعة من الجهل، مؤكداً، كما أكدنا في هذه المداخلة من خلال الإصرار على شعار النقد الذاتي، بأنه حان الوقت لكي نكون صرحاء، وألا ندع مجالاً للمجاملات السياسية التي تعرقل حواراتنا، على اعتبار أن أوروب تحتاج أيضاً لأن تعترف بالتحديات التي تجابهها وأن تعالجها، بما في ذلك مشاعر الكراهية ضد الإسلام، والمخاوف لدى مواطنيها من المسلمين، ولا يعني هذا التضحية بالهويات أو التخلي عن القيم القوية، وإنما يعني في هذا السياق، إعادة التواصل مع الهوية الإسلامية، التي يمتد تأثيرها إلى الجاليات المسلمة ببلادنا، وأن نعمل بالشراسة معهم، استجابة للتحديات التي نواجهها. وقد تكون هذه فرصة لمسلمي أوروبا لأن يفتحوا بمجتمعاتهم التي تبدو مغلقة وأن يندمجوا في مسارات المجتمع الأوسع نطاقاً، ومختتما بما نختم به هذه المداخلة. فقد حان الوقت للعمل الفعلى حول التحديث والاعتدال، ونبد التأثيرات الثقافية أو القوى التي تبرر عدم اتخاذ إجراءات تجاه حقوق الإنسان، كما حان الوقت أيضاً لمجابهة الذين يروجون لنظرات المؤامرة، والتي يمكن أن تنطوي على خطر كبير جداً علينا جميعاً، وتوطيد أسس المبادئ العالمية للديمقراطية، والتي تسهم في خلق مجتمعات مستقرة ومزدهرة ومتسامحة.

